الإنطباعية في النقد المغاربي

ارتبطت نشأة الإنطباعية بالمعارض التشكيلية ،واستمد ت اسمها من لوحة فنية للرسام الفرنسي" كلود مونيه" عنوانها انطباع ،وقد كان ذلك عام 1882 وعرضها بعد عامين أي في عام 1884 في قاعة النتاج المرفوض .ارتبطت الإنطباعية بالفنون التشكيلية أولا ثم انتقلت إلى الأ دب والنقد . الإنطباعية في النقد الغربي :

ظهرت الإنطباعية في فرنسا ثم انتقلت إلى بقية الدول الأوروبية ، من أشهر من احتضن هذا المنهج ، ووضع أسسه هو الناقد الفرنسي (سانت بوف)، الذ ي وصفت كتاباته النقدية على أنها شعر ، و(انا تول فرانس) الذي اتخذ من النقد وسيلة لسرد مغامراته .اما (جيل لو متر) فيعد بحق رائد المنهج التأثري الذي يعني عنده الإفصاح عن المشاعر التي تثيرها في نفسه قراءة الأثر المنقود . و( غوستاف لانسون) من أقطاب الإنطباعية الفرنسية ، فهو يرى "أن الإنطباعية هي المنهج الوحيد الذي يمكننا من الإحساس بقوة المؤلفات وجمالها ، مشترطا المراس والثقافة النقدية الواسعة" .(1)

وقد عرف النقد الإنطباعي تسميات أخرى كالنقد الذاتي والإنفعالي والذوقي والتأثيري . ويعني وصف الإنطباعات والأثر الذي تتركه قراءة النص الأدبي في نفسية الناقد. يقول (كارلوني وفيللو) : "إن النقد الإنطباعي ، يعود إلى المفهوم النقي البسيط لردود فعل الناقد الذاتية أمام نتاج أ دبي ."(2)

الإنطباعية في النقد العربي : من أبرز النقاد العرب الذين اقترن اسمهم بهذا المنهج ، وظلوا أوفياء له إلى آخر حياتهم ، هو محمد مندور الذي جرب مناهج عدة . فبدايته كانت بالمنهج الإنطباعي ، ثم تحول إلى التاريخي ، ثم الإيد يولوجي ، ورغم هذا الإنتقال فإنه ظل وفيا للمنهج الإنطباعي ، ولم يتردد في وصف من اعترضوا على هذا المنهج بالجهال ، ، إذ يقول :"المنهج التأثيري الذي يسخر منه اليوم بعض الجهال ، ويظنونه منهجا بدائيا عتيقا باليا، لايزال قائما وضروريا وبديهيا في كل نقد أدبي سليم ، مادام الأدب كله لايمكن ان يتحول إلى معادلات رياضية أو إلى أحجام تقاس بالمتر والسنتي أو توزن بالغرام ."(3)

وفضلا عن محمد مندور فقد كان من أتباع هذا المنهج ميخائيل نعيمة ،والأديب القاص يحي حقي الذي يقول : " أتمنى أن أجد أتباعا لهذا اللون من النقد الذي أتشيع له ، وأدعو إليه ، وهو النقد الذي أطلق عليه لفظ النقد (التذوقي) ، فلا يحكمون على الأعمال الأدبية المليئة بالمشاعر والأحاسيس والعواطف بالنظريات و بالقلم وبالمسطرة والتقسيمات النظرية الجافة التي تحاول علمنة الأدب وتقنينه ."(4)

خصائص النقد الإنطباعي : إنه يقوم

- على الذوق الذاتي ما يجعله بعيدا عن الأسس العلمية الصارمة

ارتباط الأحكام النقدية على النصوص بالإستحسان أو الإستهجان ، ففي هذا اللون من النقد كثيرا ما نقف على أحكام من مثل (هذا رائع ،وهذا جميل ،وهذا ردئ) .

وقد يجعل الناقد الإنطباعي حالته المزاجية أحيانا معيارا نقديا .

توظيف الأساليب واللغة الإنشائية التي تطغى عليها الذاتية كاستخدام ضمير المفرد المتكلم (أنا) .

-------------------------------------------------------------

1 – يوسف وغليسي ، مناهج النقد الأدبي ،جسور للنشر والتوزيع ،الجزائر،2007، ص9.

2 –كارلوني وفيللو ، تر كيتي سالم ، منشورات عويدات ،ض67- 68 .

3 – محمد مندور ، الأ دب وفنونه ،دار نهضة مصر ،ص104 .

4 – يحي حقي ، خطوات في النقد ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،1976 ،ص10.

يرى النقاد أن الإنطباعية من أقدم المناهج لأن إبداء الإنطباعات شيء فطري في الإنسان . والمعنى اللغوي للإنطباعية في اللغة العربية ،يعني الفطرة والخليقة ،والسجية التي جبل عليها الانسان .(1)

الإنطباعية في النقد المغاربي :

لم يشذ النقد المغاربي عن النقد العربي ، في استخدام المنهج الإنطباعي ،حيث يظهر ذلك بوضوح في النقد الجزائري الذي شغل النقد الإنطباعي جانبا عريضا منه لا سيما قبل الاستقلال ،وترجع كثرة انتشاره خلال هذه الفترة إلى كون النقاد الذين مارسوه ،لم يكونوا من المتخصصين في النقد.ومما ينبغي ذكره بشأن هذا النقد أنه ارتبط بالصحافة الأمر الذي يجعله متصفا بالتسرع ، والبعد عن العلمية . وإذا كان هذا النقد قد ارتبط بالصحافة قبل الإستقلال ،فإنه بعد الاستقلال ظهر في كتب مستقلة تبنى فيها أصحابها هذا الاتجاه نحو ما يتضح عند الكاتب أحمد منور الذي يقول :" إن هذه المقالات لا تدخل في باب النقد ، ولا ما يشبه النقد،وإنما هي قراءة حرة لم التزم فيها بمنهج معين ،ولا بنظرية محددة ،إنني أعتبرها مجرد وجهة نظر ، ومشاركة في الحوار الدائر على مستوى الساحة الأدبية ."(2)

اما الطاهر يحياوي ومحمد توامي فيقولان في مؤلفهما المشترك (شعر وملامح) بأنه مجرد محاولات :" تندرج ضمن الإذطباعات ،والخواطر أكثر مما تندرج في البحوث والدراسات".(3)في حين نجد مخلوف عامر في كتابه "تطلعات إلى الغد" ، يقول أقرأ إنتاج بعض الأدباء الناشئين وأوثر ألا أحتفظ برأي فأعبر عن انطباعاتي كتابة".(4) ومن الكتب التي عول فيها أصحابها على الإنطباعية نذكر كتاب "البعد الفني والفكري عند الشاعر مصطفى الغماري" لصاحبه الطاهر يحياوي الذي لم يبعد فيه عما يتسم به هذا النقد من الانشائية والتعميم والذاتية وعدم الدقة . ففي مثل هذا النوع من النقد لا نقف على المصطلحات النقدية المضبوطة ولا على القواعد الدقيقة ، وإنما على الإنشائية التيكثيرا ما تقترن بالطابع الذاتي الخالص .

وفي المغرب الاقصى نجد المقدمات التقريظية التي وضعها الناقد نجيب العوفي(5) للادباء و الكتاب ما يحدد طبيعة القراءة الإنطباعية . فهو يحرص حرصا شديدا على التقيد بما تتطلبه مثل هذه المقدمات من اختصار وإيجاز وتكثيف ، واستخدام صيغ التفضيل والتكرار والتعجب ، والتعبير عن مجموعة من الإنطباعات الذاتية . كما يبدو في مقدمة (ندف الروح) لاسماعيل البويحياوي ، حيث يصدر الناقد في قراءته الإنطباعية مجموعة من الأحكام الذاتية مثل (لغة نضرة يانعة السنابل ،تنضح شعرية وسلاسة وخفة دم/لكن القالب القصصي يبقى دوما قصيرا جدا ،وأنيقا جدا ،وسلسا جدا ،وممتعا جدا).فهذه القراءة قائمة على الإنطباع ، واعتمد صاحبها على الذات والذوق .

ونخلص إلى القول إلى القول إن الإن الإنطباعية ترتكز أساسا على الذوق ، وتنطلق من معايير ومقاييس تأثرية منبعها العاطفة والوجدان . ومن ثم تتصف أحكام هذا النقد بالتعميم ، والتسرع في إبداء الأراء الشخصية .

1-ابن منظور،لسان العرب، ج 8،ص232.

2 – احمد منور ،قراءات في القصة الجزائرية ،1981 ،ص14

3 – الطاهر يحياوي ومحمد توامي ،شعر وملامح ،مطبعة اومزيان ،الجزائر ، ط 1 ،1984،ص5.

4 – مخلوف عامر ، تطلعات إلى الغد ،ص 5.

5-جميل حمداوي ،تنوع المقاربات النقدية عند نجيب العوفي ،الالوكة الادبية .